فكاهات

شرلوك هولمز [1]

— ١٢ —

الأثر

في يوم من ايام الخريف دخل علينا في غرفتنا في شارع باكر زائران عرفنا للحال اهميتهما ومركزهما وكان الاول رقيق الجسم تظهر عليهِ دلائل الابآء والعظمة واسمهُ اللورد بلنجر وكان قد تولى رئاسة الوزارة الانكليزية مرتين في حياتهِ . اما الثاني فكان طويل القامة حسن الهيئة وهو الشريف تريلوني هوب كاتب اسرار نظارة الخارجية وأحد كبرآء ساسة البلاد . فلما دخلا واستقرّ بهما المقام رأينا علامات القلق بادية على وجهيهما مما دلنا على ان امراً في غاية الاهمية استدعى حضورهما

و بدأ كاتب الاسرار بالكلام فقال قد فقدت شيئاً مهمًّا يا مستر شرلوك وحالما علمت بفقدهِ في الساعة الثامنة صباحاً اعلمت حضرة الوزير فاشار عليَّ ان نأتي معاً اليك . فقال شرلوك وهل اعلمتما رجال الشحنة بذلك . فاجابهُ الوزير فوراً كلا ولا يمكننا ان نفعل ذلك فان الخبر اذا بلغ دار الشحنة شاع بين الجمهور وهذا ما نود ان نتحاشاهُ لان المفقود اوراق سياسية جزيلة الاهمية اذا اشتهر امرها كانت سبباً لاثارة حرب دموية بين دول اوربا . فقال شرلوك ارجو يا مولاي ان توضح لي كيف علمت بفقدها . فقال كاتب الاسرار ان الاوراق المذكورة هي رسالة وصلت الينا منذ ستة ايام من احد ذوي التيجان في اوربا ولاهمية تلك الرسالة لم اشأ ان ابقيها في الخزانة الحديدية بل كنت آخذها معي ذهاباً وايابًا من بيتي الى

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

النظارة في صندوق يدٍ صغير اضع فيهِ اوراقي ومتى بلغت البيت كنت اضعهُ في غرفتي الخصوصية وقد احضرتهُ معي امس وكنت متحققاً وجودها في الصندوق قبل العشآء اي في الساعة السابعة و بعد العشآء ذهبت زوجتي الى دار التمثيل و بقيت انتظرها الى الساعة الحادية عشرة فدخلنا غرفة النوم. ولما نهضت صباح اليوم فتحت الصندوق فوجدت ان الرسالة مفقودة مع ان غرفتي لا يدخلها احد البتة غير خادمي وخادمة زوجتي وهذان لا نشك في امانتهما اصلاً وفضلاً عن ذلك فهما لا يعلمان شيئاً عن هذه الرسالة ولا عن محل وجودها بل لا يعلم بها احد في بيتي حتى زوجتي لانني لم اخبرها شيئاً عنها ولم تعلم الا في هذا الصباح انني قد فقدت اوراقاً في غاية الاهمية

فتفكر شرلوك حيناً ثم قال زدني ايضاحاً يا مولاي عن امر هذه الرسالة وعما يترتب على فقدها . فتبادل الرجلان نظراتٍ سرية ثم قطب الوزير حاجبيهِ وقال ان الرسالة موضوعة في ظرف مستطيل ازرق اللون وعنوانها مكتوب بخط واضح كبير والظرف مختوم بشمع احمر عليهِ رسم اسد رابض . فقال شرلوك اذا كان ولا بد يُطلب مني ان ابحث عن سارق الرسالة وان استرجعها منهُ فهذا الوصف لا يكفي ويجب ان اعرف ما هو مضمون الرسالة . فقال الوزير ذلك من اسرار الدولة يا صاح فلا يمكنني ان ابوح بهِ ولا اظن ان ذلك ضروري فاذا كان ما سمعتهُ عن مهارتك صحيحاً ففي امكانك ان تتأثر الرسالة التي وصفتها لك فتكون شهرتك في محلها وتنال المكافأة التي تستطيع الوزارة ان تقدمها لك . فنهض شرلوك معجباً بنفسهِ وقال انا اعلم يا مولاي انكما اكبر ساسة البلاد وان عندكما من الاعمال ما يستغرق اوقاتكما كما اني انا ايضاً مع قلة اهميتي لي اشغال اخرى في غاية الاهمية فانا اتأسف انهُ ليس في امكاني مساعدتكما وان زيادة الحديث لا تعود علينا الا باضاعة الوقت . ورأى الوزير في كلام شرلوك ما يدل على طردهِ ضيفيهِ فوثب على قدميهِ كالاسد وقد اندفع من عينيهِ شرار الغيظ وقال انني لم اتعود يا هذا . . . ولكنهُ عاد فجأةً الى سكونهِ فجلس وصمت نحو دقيقتين ثم قال اظن انك محقٌّ في طلبك وانهُ لا ينبغي ان ننتظر مساعدتك ما لم نطلعك على السر فيجب ان نثق بشرفك

وشرف رفيقك الدكتور وطسن في كتمان هذا الامر الخطير لانني لا استطيع ان اصف ما يجلب افشآؤه على هذه البلاد من ويلات الحروب . ان هذه الرسالة بعث بها الينا ملك استعمرت مملكتنا على حدود ملكه فكتب ما كتب بدون تروٍّ على عهدته الشخصية وقد اظهر لنا البحث ان ليس لوزرآئه المامٌ بما جرى غير ان في الرسالة عباراتٍ شديدة اللهجة لو اشتهرت بين الشعب لهاج لدفع تلك الاهانة وتمكن بدون شك من اجبار الحكومة على اعلان الحرب في اقل من اسبوع . فاخذ شرلوك ورقة كتب عليها اسماً اراهُ للوزير فقرأهُ وقال نعم هو هو بعينه ورسالتهُ هذه اذا لم نجدها في الحال اقتضت منا آلافاً من الملايين ومئات الالوف من الرجال متى دارت رحى الحرب . وانت تعلم ان اوربا باسرها الآن ميدان حربي مخيف فاذا وصلت هذه الرسالة الى يد احد اضداد انكلترا لم يتوقف عن السعي في اصلآء نار الحرب بيننا وبين الملك صاحب الرسالة ولذلك لا اشك ان الذي استولى عليها يروم ارسالها الى احدى الوزارات المضادّة وهو الامر الذي نخشاهُ وقد اطلعناك يا مستر شرلوك على جلية الامر فما رأيك . فهز شرلوك رأسهُ آسفاً وقال رأيي ان تستعد يا مولاي للحرب المتوقّعة لان الرسالة على ما فهمت قد سُرقت قبل الساعة الحادية عشرة من ليل امس ويغلب على ظني انها سُرقت حالما خرج المستر هوب لتناول العشآء وبما ان الشخص الذي اخذ الرسالة كانت غايتهُ ولا بد ان يسرع في ايصالها الى من تهمهم وقد مضى على ذلك الوقت الكافي لارسالها فلا بد ان تكون قد صارت خارج انكلترا . ومع ذلك فلا اقطع الامل بالكلية لان المستر هوب يؤكد ان خادميه في منتهى الامانة وانهُ يتعذر الوصول الى غرفته من الخارج فلا بد ان الشخص الذي اخذ الرسالة هو من نفس البيت اغراهُ احد ذوي الغايات باخذها لهُ . وبما انهُ لا يوجد في انكلترا سوى ثلاثة اشخاص من الجواسيس السياسيين وانا اعرفهم فسأبحث عنهم فاذا وُجد احدهم غائباً اوقعنا الشبهة عليه فلا ارجع عن متابعته والا الرسالة في يدي . فنهض الوزير وقال انني لم اغلط في تسليم الامر ليدك يا مستر شرلوك وانا واثق بعلو همتك ومقدرتك فنحن ذاهبان الى

اعمـالنا ملقيان اتكالنا عليك فاذا جدّ لدينا شيء عرّفناك واذا علمت ما تهمنا معرفتهُ فلا تتأخر عن مفاوضتنا ثم ودّعنا الاثنان وخرجا

وجلس شرلوك بعد خروجهما على كرسيهِ يدخن كعادتهِ وقد غاص في بحـار من التأملات . اما انا فاخذت جريدة الصباح اتصفحها فاستوقف نظري خبر مقتل غريب جعلت اقرأهُ واذا بشرلوك قد وثب بغتةً فقال ان الامر في غاية الصعوبة ولكنهُ غير مستحيل ولو علمت الآن مَن من الجواسيس الثلاثة استولى على الرسالة لتمكنت من الحصول عليها لان هؤلآء يعملون رغبةً في المال فكنت اشتريها منهم باي ثمنٍ كان فان خزينة الدولة البريطانية لا تتأخر عن تحويلي عليها لمشترى مثل هذه السلعة . اجل ان الامر لا يخرج عن واحدٍ من أولئك الثلاثة وهم اوبرشتين ولاروذيير وادواردو لوكاس فيجب ان اقصدهم واحداً واحداً وبما ان الاخير هو اقربهم الينا فلنذهب اليه في الحال . فلما سمعت ذلك قلت لهُ لكن المذكور قتل ليلة امس في منزلهِ وقد رأيت تفاصيل ذلك في هذه الجريدة . وما كدت اتم كلامي حتى جحظت عينا شرلوك وتغير لونهُ فاختطف الجريدة من يدي وقرأ فيها ما يأتي

« حدث ليلة امس مقتل فظيع وهو مقتل المستر ادواردو لوكاس الشهير في منزلهِ بشارع جودولفين والمذكور غير متزوج ولهُ من العمر اربع وثلاثون سنة تسكن معهُ خادمة طاعنة في السن تدعى مسس برنكل وخادم فتى يسمى ميتون . ومن عادة الخادمة ان تذهب بعد العشآء الى غرفتها لتنام في اعلى المنزل واتفق الليلة البارحة ان استأذن الخادم لزيارة صديق لهُ وبقي المستر لوكاس وحدهُ في المنزل . وعند نصف الليل رأى شرطي الناحية ان باب المنزل لا يزال مفتوحاً خلافاً للاصول فقرعهُ لينبه ارباب المنزل فلم يجبهُ احد ثم رأى نوراً في الغرفة الداخلية فدخل وقرع باباً ثانياً فلم يجبهُ احدٌ ايضاً فدفع الباب ودخل فرأى في الغرفة ما يدل على حدوث معركة ورأى جثة صاحب المنزل وقد قبضت يدهُ على كرسي كانهُ يدافع بهِ عن نفسهِ وكان في صدرهِ الخنجر الذي طعن بهِ وقد أُخذ من بين عدة اسلحة قديمة معلقة على الحائط للزينة . ولم يستدل على قصد سرقة في ذلك العمل لانهُ لم

يؤخذ من الغرفة شيء . وقد بلغ الامر دار الشحنة والمأمول انها تهتم بالبحث عن القاتل ومعاقبتهِ بما يستحق »

ثم طرح شرلوك الجريدة جانباً وقال ماذا تظن يا وطسن . قلت لا شك ان مقتلهُ في هذا الوقت من الاتفاقات التي تقف في طريق بحثك . فقال بل الذي اراهُ ان هذا ليس من باب الاتفاق فقد قتل الرجل بعد حدوث سرقة الرسالة فلا بد من وجود علاقة بين الامرين وعلينا ان نجد الحلقة التي تصل بينهما . قلت واذا فعلت علمت رجال الشحنة السر الذي وعدت بالمحافظة عليهِ . قال كلا فان رجال الشحنة ستهتمّ بمعرفة القاتل ونهتم نحن بالبحث الذي يهمنا وارى ان في المسئلة سرًّا عظيماً من الاسرار التي يلذ لي البحث عنها وفي صدري ما يوحي اليَّ اني سأفوز باذن الله . . وقطع حديثهُ دخول الخادمة تتبعها سيدةٌ من اجمل واشهر نساء انكلترا عرفناها للحال انها مسس تريلوني هوب كاتب اسرار وزارة الخارجية ولكننا عجبنا من امتقاع لونها وهيئة القلق البادية على وجهها فاستقبلها شرلوك بمنتهى الاحترام اما هي فدخلت واجتازت الغرفة الى احدى زواياها وجلست ثم سألتهُ هل زارهُ زوجها في ذلك الصباح . قال نعم وقد خرج بصحبة الوزير . قالت ارجو ان تعدني قبل كل شيء ان لا تذكر لهُ مجيئي اليك . قال كيف تشترطين عليَّ يا مولاتي قبل ان اعلم سبب تشريفك منزلي . قالت نعم بلغني في هذا الصباح ان زوجي فقد امس اوراقاً اقلقهُ فقدها الى الغاية ولكنهُ لم يطلعني على مضمونها ولا على مقدار اهميتها فكان ذلك داعياً لقلقي وانزعاجي ولعلمي بأنك مطلع على الامر اتيتك راجية ان تعرّفني جلية الواقع . فقال شرلوك ان ما تطلبينهُ يا مولاتي ليس في امكاني ان اجيبكِ اليه لانهُ اذا كان زوجكِ نفسهُ قد اخفاهُ عنكِ فكيف يجوز لي ان اطلعكِ عليهِ ولاسيما بعد ان اقسمت على كتمانهِ ولذلك فالاولى ان تسألي زوجكِ رأساً لعلهُ يخبركِ بالامر . قالت قد سألتهُ بالحاح فلم يجبني فان كنت لا تستطيع ان تخبرني بهذا السرّ فاتوسل اليك ان تعلمني هل منصب زوجي في خطر . قال ان لم نجد المفقود فستكون النتيجة مصيبةً عظمى . فشهقت وغطت وجهها بيديها ثم قالت لكن هل لك ان

تلمّح لي الى نوع المصيبة التي ستترتب على ذلك . قال هذا ايضاً من السر الذي وعدت بكتمانهِ . قالت لا الومك يامولاي على كتمانك كما انك لا تلومني على رغبتي في مشاطرتي زوجي همومهُ ومسرّاتهِ ولكنني اكرر رجآئي ان لا تذكر لهُ شيئاً من زياتي هذه . ثم نهضت فحيّت وخرجت

ولما انصرفت تناول شرلوك لفافة فاشعلها ثم هز رأسهُ وقال يظهر ان للجنس اللطيف بعض الدخل في سياسة البلاد فهل رأيت يا وطسن اضطراب السيدة وقلقها والحاحها وكيف اختارت لجلوسها مكاناً محجوباً عن النور اخفآءً لما يبدو على وجهها من الآثار فما معناها يا ترى وماذا تريد وما هو مقدار تداخلها في الامر . والآن فمن الواجب ان اذهب الى شارع جودولفين لعلي ارى في جثة القتيل وما حولها ما يفيدني دليلاً اجمعهُ الى سائر الادلة في خطة البحث التي عزمت على انتهاجها

وعاد شرلوك في المسآء فلم ارَ على وجههِ علامات الفوز التي كانت تظهر عليهِ لو توفق الى اكتشاف امر مهمّ وغاية ما فعلهُ في تلك الزيارة انهُ رأى المفتش لستريد يوالي البحث فكان مرافقاً لهُ يسمع ويرى . وقد وجدوا ان غرفة القتيل لم يفقد منها شيء وكانت اوراقهُ ايضاً لا تزال حيث هي مما يدل على ان القاتل انما فعل ذلك انتقاماً ليس الا . واتهم رجال الشحنة خادمهُ ميتون غير ان هذا احضر البينات المقنعة انهُ كان بعيداً عن البيت في تلك الليلة واثبت انهُ كان اميناً في خدمة مولاهُ وقد خدمهُ عدة سنين لم يكن يفارقهُ فيها سوى ثلاثة اشهر في كل سنة كان يذهب فيها لوكاس وحدهُ الى باريس فأطلق سراح الخادم وابقى لستريد شرطيا يحرس المنزل

ولما كان الصباح التالي اخذت الجريدة فقرأت فيها خبراً من باريس مفادهُ ان سيدة في تلك المدينة تدعى مادام هنري فورناي اصابها اختلال في عقلها وعند الفحص وجد ان جنونها حصل على اثر عودتها من انكلترا وان صورة زوجها هنري فورناي هي نفس صورة ادواردو لوكاس المقتول مما دل على ان المذكور كان لهُ اسمان وصفتان يعيش في كل بلاد باسم وصفةٍ منهما . وظهر ان زوجة لوكاس كانت

تغار عليهِ جدًّا وكانت متضايقة من سكناهُ في انكلترا وتركهِ اياها وحدها في باريس وانها سافرت من ثلاثة ايام الى لندن وعليها آثار الكآبة والغم ولما رجعت وجدها خدمها في حالة اختلال عظيم حتى اضطروا ان يبلغوا امرها الى رجال الحكومة . ويظن انها انما قصدت زوجها واشعلتها نار الغيرة فتنازعا فاخذت الخنجر من الحائط وطعنتهُ بهِ فقتلتهُ ولم يعلم هل الجنون ساقها الى هذه الفعلة او ان هول القتل افقدها رشدها . ولم يتمكن رجال الشحنة من استنطاقها في تلك الحال فنقلت على المستشفى لعلها تستردّ رشدها فتسأل عما جرى

ولما فرغت من قرآءة الجريدة أطلعت شرلوك على ما جآء فيها وسألتهُ عن رأيهِ فقال ان كل ذلك لا يهمني يا وطسن فقتل الرجل ومعرفة قاتلهِ من الامور التي يسعى لستريد في استثباتها اما انا فغرضي الرسالة لا غير . والى الآن ما زلت استخبر الحكومة فيرد عليَّ ما يفيد انهُ لم تظهر اقل حركة في دولةٍ من الدول يستنتج منها وصول الرسالة اليها فلا بد ان الرسالة لا تزال محفوظة هنا ولكن اين وهل لمقتل لوكاس علاقة بالرسالة وهل هو السارق . اننا لم نجدها بين اوراقهِ فهل اخذتها زوجتهُ بعد قتلهِ ولكن من اين علمت بها وماذا تفيدها . وبينما هو يكلمني دخلت الخادمة فدفعت اليهِ رسالة قرأها فاذا بها من لستريد يطلب اليهِ موافاتهُ الى محل الجناية فقال تعالَ معي يا وطسن فعسى ان نعثر في هذه الزيارة على ما يفيدنا

وما صدّق شرلوك ان بلغنا منزل لوكاس وكان لستريد في انتظارنا فادخلنا الى الغرفة التي حصل فيها القتل ولم يبقَ في الغرفة من اثر الجريمة والعراك سوى بقعة من الدم على البساط وكان البساط من صوف يغطي ارض الغرفة الا نحو متر عن جوانبها . فقال لستريد لم يكن من سبب لاستدعآئك ايها العزيز لانهُ بعد الخبر الوارد من باريس لم يبق في الامر ما يحتمل الشك ولكنني رأيت امراً غريباً في هذه الغرفة وهو مع عدم اهميتهِ اعلم انك تهتمّ انت بمثله فاستدعيتك لاريكهُ . وهو اننا عند ما حضرنا لمشاهدة القتيل تركنا كل شيء في مكانهِ ولما رفعنا الجثة اليوم ورأيت هذه البقعة من الدم على البساط خطر لي ان ارفع البساط فوجدت ان

الدم قد اخترقهُ الى قفاهُ وكان من الضروري ان يظهر اثرهُ على الارض الخشبية البيضآء ولكن لم يظهر لهُ اقل اثر . فبانت على وجه شرلوك علامات الاهتمام العظيم وقال لا شك انهُ كان يجب ان يترك الدم اثراً على الخشب بعد ان تشرَّبهُ البساط . فتبسم لستريد كانهُ اعجب بنفسهِ وقال ولكننا وجدنا الاثر على الخشب في الجهة الثانية . ولما قال ذلك اسرع الى الطرف الآخر من البساط ورفعهُ فبان على الخشب بقعة كبيرة قرمزية كالتي على البساط تماماً ثم قال أرأيت اين اثر الدم وهـذا يدل على ان البساط قد نقل من موضعهِ بعد حدوث الجناية . ومع ان ذلك لا يهمني ولا تعلق لهُ بما وصلنا اليهِ فلعلمي ان مثل هذه الطفائف تشغل عقلك كثيراً احببت ان اطلعك عليهِ ويجب ان تعـلم ايضاً انهُ منذ اتينا الى محل الجناية اول مرة لم يزل الشرطي الذي اقمتهُ يحرس الباب ملازماً لهُ فمن المؤكد انهُ لم يدخل الغرفة انسان

وكانت تظهر في وجه شرلوك آثار التهيج والانفعال الداخلي ثم نظر الى لستريد وقال لهُ لا بد ايها العزيز من دخول شخص الى هذه الغرفة ولو انكر الحارس فاذهب وخذهُ الى آخر غرفة في المنزل واستنطقهُ سرًّا وعدهُ بالصفح عنـهُ اذا اعترف بالحقيقة ولا تتركهُ حتى يعترف لك . فلبَّى لستريد للحال وخرج وما كاد يترك الباب حتى صرخ بي شرلوك قائلاً اسرع يا وطسن اسرع ولما قال هذا رفع البساط بتمامهِ وجثا على ركبتيهِ فجعل يقرع على قطع الخشب المربعة في ارض الغرفة وما زال كذلك حتى بلغ قطعةً منها احتال عليها فرفع جانبها فانفتحت كانها غطآء صندوق وتحتها فراغ فاسرع وادخل يدهُ في ذلك الفراغ ولكنهُ لم يلبث ان اعادها وقد ظهرت عليهِ علامات اليأس وقال عجّل يا وطسن قبل ان يعود لستريد ثم اطبق الخشب وارجعنا البساط . وما كدنا نتم ذلك حتى عاد لستريد يقود الشرطي فقال قد اعترف واودّ ان تسمعا اعترافهُ . فقال الشرطي انني لم اذنب بشيء يا مولاي وانما جآءتني مسآء امس سيدة وقالت انها تبحث عن محل تعمل فيـهِ على الآلة الكتابية وقد غلطت عن البيت الذي تقصدهُ فدخلت الى هنا ولما علمت بحدوث الجناية طلبت اليَّ ان تنظر الغرفة التي حصل فيها القتل فلم ارَ موجباً لمنعها فاذنت

لها ان تلقي بنظرها من الباب ففعلت وما رأت اثر الدم حتى اصفرّ لونها وسقطت الى الارض في وسط الغرفة مغمى عليها . فاسرعت الى اقرب صيدلية فاحضرت لها شيئاً من المنعشات ولما عدت وجدتها قد ملكت روعها فاعتذرت اليّ ثم شكرتني وخرجت . وكان البساط قد تجعد حيث سقطت فاصلحتهُ وانا اؤكد لكم انني لا اعرفها ولم ارها قبلاً ولم يحصل غير ما ذكرت . فقال شرلوك للشرطي هل استثبتّ منظر تلك السيدة . فقال نعم فهي آية في الجمال . قال وهي طويلة القامة وعليها ردآء طويل . قال نعم . قال وفي اية ساعة جآءت . قال بعد الغروب بقليل . فقال شرلوك لا اظن ان في الامر شيئاً يستوجب الاهمية واني اشكرك ايها العزيز لستريد على كل حال . ولما قال هذا خرج فتبعتهُ وبقي لستريد في البيت

ولما خرجنا كان الشرطي سائراً معنا فاخذ شرلوك من جيبهِ صورة اراها لهُ فما وقع نظرهُ عليها حتى شهق وقال هي هي بعينها . فأعاد شرلوك الصورة الى جيبهِ ثم سار بي وهو لا يكاد يطأ الارض برجليهِ من شدة سروره ثم قال لي اذا عرفت كيف اتصرف ونجحت في مسعاي فاننا نسترجع الرسالة ونخلص المستر هوب من المشكل ونمنع حدوث الحرب فهلمّ بنا . اما انا فكنت اعجب من هذا الرجل الغريب وزاد عجبي عند ما رأيتهُ اخذ عربةً ركبناها وقال للسائق خذنا الى منزل المستر هوب كاتب اسرار وزارة الخارجية . فلما بلغنا البيت المذكور دخلنا غرفة الاستقبال وطلب شرلوك مواجهة اللادي هوب فجآءت في الحال وقد صبغ وجهها باون قرمزي فقالت لم اكن اعهدك يا مستر شرلوك كما اراك الآن فقد توسلت اليك ان لا تعلم زوجي بزيارتي لك وها انت قادم اليّ ليعلم من ذلك ان بيني وبينك علاقة . فقال شرلوك بمنتهى الرزانة والادب اعذريني يا مولاتي على هذه الزيارة الاضطرارية فانني قد كلفت ان ابحث واجد الرسالة المفقودة فأجبرت على المجيء اليك وارجو منك ان تتكرمي باعادتها اليّ . فوثبت السيدة على رجليها كمن لدغتها افعى وكادت تسقط الى الارض مغمى عليها ولكنها تجلدت فقالت لهُ انك تهينني يا هذا . ثم تقدمت لتقرع الجرس وتنادي الخادم ليخرجنا فاستوقفها شرلوك وقال اذا فعلت

يا مولاتي فلا يعود في امكاني كتم الامر فالاصلح ان تساعديني على كتمان السر وان تعطيني الرسالة في الحال . فتوقفت السيدة حيناً بين اليأس والرجآء ثم قالت اناك تحاول ان تخيفني بكلامك فقل لي ماذا تعلم من الامر . قال تفضلي بالجلوس يا مولاتي لئلا يهولك سرد ما اعلم فتسقطي الى الارض . انني علمت بزيارتك للوكاس وتسليمك اليهِ الرسالة ثم عودتكِ امس الى غرفتهِ لاسترجاعها من مخبإِها تحت البساط . فاكفهرّ لون السيدة وجحظت عيناها وفتحت فاها مرتين لتتكلم فلم تستطع ثم قالت انك تهذي ياهذا او انك فقدت عقلك . قال لا هذا ولا ذاك ثم اخرج من جيبهِ صورتها التي كان قد اراها للشرطي قبلاً وقال قد اريتُ هذه للشرطي الحارس فعرفها ولكنهُ لا يزال يجهل الاسم فلا يزال معنا وقت لتلافي ما حصل بدون ظهور شيء . وكانت اللادي هوب مع كل ذلك ومع ما ظهر عليها من الارتعاش والخوف لا تزال تجاهد في امتلاك قواها فقالت اني اؤكد لك انك واهم يا مستر شرلوك فانصح لك ان تقلع عن عملك هذا وان تغادر البيت حالاً . ولما رأى شرلوك منها ذلك الاصرار وقف وقال قد بذلت جهدي يا مولاتي فلا تلوميني على ما سأفعل . ثم اقترب من الجرس فقرعهُ فدخل الخادم فسألهُ هل عاد مولاهُ . فقال لا وسيعود بعد ربع ساعة . فقال شرلوك متى عاد فاعلمهُ انني اودّ مواجهتهُ . وما كاد الخادم يخرج من باب الغرفة حتى نهضت اللادي هوب وهي ترتعش فلم تقوَ رجلاها على حملها فسقطت جاثيةً امام شرلوك ورفعت يديها مستغيثة بهِ والدمع يترقرق في مآقيها وقالت بربك ساعدني وارشدني ماذا يجب ان افعل فاني لااحب ان اكسر قلب زوجي . فأمسك شرلوك بيدها وانهضها قائلاً عجلي يا مولاتي قبل عودتهِ فانهُ لا يزال لنا وقتٌ لتدارك الامر . فنهضت الى مكتبها الصغير ففتحتهُ واخرجت منهُ الرسالة بظرفها الازرق ودفعتها الى شرلوك فكاد يجنّ فرحاً وقال ينبغي ان نسرع في ردّها الى مكانها . قالت نعم وان صندوقهُ لا يزال في غرفتهِ فانهُ لم يأخذهُ معهُ اليوم . قال ان التقادير تساعدكِ يا مولاتي ولكن هل عندكِ مفتاحهُ . قالت نعم ثم اندفعت بسرعة البرق الى غرفة زوجها فاحضرت الصندوق

واخرجت من صدرها مفتاحاً صغيراً فاخذهُ شرلوك وفتح الصندوق واعاد اليه الرسالة . فوضعها بين الاوراق الاخرى ثم اقفلهُ وردّتهُ اللادي الى مكانه

ورأى شرلوك ارتباك اللادي هوب واضطراب افكارها فقال خفي عنك يا مولاتي فلن يعلم احد بما جرى غير اني ارجو منك ان تتلي عليّ قصة اخذ هذه الرسالة فاني مع اطلاعي على اكثرها احب ان اسمعها من فيك بالتفصيل . فتنهدت وقالت انني شاكرة لك ايها الصديق ولااستطيع ان اخفي عنك شيئاً فاسمع . انني كتبت في حياتي رسالة حبية املاها عليّ الجهل وسن الصغر ولا اعرف باية طريقة وصلت تلك الرسالة الى اللعين ادواردو لوكاس فحفظها عندهُ . وقد اخبرني من مدة انها موجودة عندهُ فطارت نفسي شعاعاً ورغبت اليه ان يردها اليّ مخافة ان يطلع عليها زوجي فابى وابتهلت اليه في ذلك مراراً فلم يجب واخيراً قال لي انهُ يردها اليّ اذا دفعت اليه رسالةً وصفها لي موجودة في صندوق زوجي بين اوراقه . وكان لهُ جاسوس بين كتبة الوزارة علم منهُ صفة الرسالة ومحل وجودها واكد لي ان فقدان تلك الرسالة لا يهمّ زوجي على الاطلاق . فلو كنت في مكاني ماذا كنت تفعل يا مستر شرلوك . قال كنت اطلع زوجي على هذا الطلب . قالت لم يمكني ذلك لاني لو فعلت لعلم برسالتي وهذا ما كنت اجتنبهُ . ولما زاد بي خوف الفضيحة اخذتُ رسم المفتاح بالشمع فعمل لي لوكاس مفتاحاً نظيرهُ ومنذ يومين فتحت الصندوق واخذت الرسالة واخبرت زوجي اني ذاهبة الى الملهى ولكنني ذهبت في الحقيقة الى شارع جودولفين الى بيت لوكاس ولما قرعت بابهُ فتح لي فدخلت ورأيت امرأةً عند باب المدخل فلم اهتم بها وما صدقت ان بلغت غرفتهُ فدفعت اليه الرسالة المذكورة واعاد اليّ رسالتي فما صدقت ان حصلت عليها . وفي تلك الساعة سمعنا وقع اقدام في الممرّ فاسرع لوكاس ورفع جانب البساط ففتح في الارض صندوقاً خفيًّا وضع فيهِ الرسالة واعاد البساط الى ما كان عليه . اما انا فحاولت الخروج واذا بامرأة قد دخلت وهي غضبى فجعلت تكلمهُ بالفرنسوية وتقول لهُ لقد صدق ظني فقد علمت انك تتركني في فرنسا لتخلو بعشيقاتك هنا ثم هجمت عليه فتناول

كرسيًّا ليدافع به عن نفسه واخذت هي خنجراً معلقاً على الحائط . وكان ما اراهُ كحلم هالني فاسرعت للخروج وما صدقت ان بلغت الشارع وعدت الى البيت فنمت براحة لحصولي على رسالتي ولكنني لما قمت في الصباح قرأت في الجرائدعن نهاية تلك المأساة التي حضرت اول تمثيلها ثم علمت انني خلصت نفسي من ورطة فوقعت في اعظم منها . وكان قلق زوجي لفقد تلك الرسالة يمزق احشآئي فكدت اجثو تحت اقدامه واطلعهُ على الحقيقة ولكن خانتني شجاعتي فلم استطع وظننت ان الامر لا يهمهُ كما تصوّرت وقد قصدتك بالامس في منزلك لاعرف اهميتهُ ومن تلك الدقيقة صممت على ارجاع الرسالة بنفس اليد التي اخذتها وكنت قد رأيت المخبأ الذي وضعها فيه لوكاس قبل دخول تلك المرأة التي لولا قدومها الفجآئي لما كنت عرفتهُ قط . وكنت اترقب الفرص وادبر الطرائق التي تمكنني من دخول البيت حتى اهتديت الى الشرطي فكلمتهُ وفعلت ما عرفتموهُ ولما سقطت الى ارض الغرفة وظنني مغمى عليَّ خرج ليحضر لي شيئاً من المنعشات فرفعت البساط واخذت الرسالة وما صدقت ان حصلت في يدي فمدت بها الى هنا . . . . وهآءنذا اسمع عربة زوجي فقد اتى فبرّيك يا شرلوك استر عليَّ يغفر الله لك

و بعد دقيقتين دخل المستر تريلوني هوب وكانت لا تزال آثار الاهتمام على وجهه فالما وقع نظرهُ علينا قال هل من جديد يا مستر شرلوك . فقال لي بعض الامل يا مولاي . فقال المستر هوب لك الشكر يا الهي وانا قد دعوت حضرة الوزير لتناول الغدآء معي فهل تريد ان استدعيهُ الى هنا لكي نتمتع معاً بسماع ما ستبشرنا بهِ . ثم انتبه هوب الى وجود زوجتهِ فقال ان كلامنا فيما يختص بالسياسة ايتها الحبيبة ولا اظنهُ يهمك فاسبقينا وسنوافيكِ الى غرفة المائدة

و بعد هنيهة دخل الوزير فقال بلغني ان لديك ما تبشرنا بهِ يا مستر شرلوك . فقال قد بذلت غاية الجهد يا مولاي فتحققت انهُ لم يبقَ من خطر يخشى منهُ على الرسالة . فقال الوزير ان هذا لا يكفي يا عزيزي لاننا لا نستطيع البقآء على فوّهة بركان القلق بل يجب ان نحصل على الرسالة . فقال شرلوك ولهذا السبب قد أتيت

الآن لانني مؤكد انها لم تفارق هذا البيت بل لم تفارق صندوق المستر هوب ولا بدَّ انها لا تزال فيهِ . فقال المستر هوب ان كنت مازحاً يا مستر شرلوك فليس الوقت وقت مزاح فقد بحثت في صندوقي ورقة ورقة قبل ان تحققت فقدها ولم اعد افتح الصندوق من ذلك الوقت لعدم احتياجي اليهِ . فتبسم شرلوك وقال لا يشق عليك يا مولاي فانهُ قد يحدث مثل ذلك وانا اعتقد تمام الاعتقاد ان الرسالة لا تزال في صندوقك . فقال الوزير ان الحكم في ذلك من اسهل الامور فهات صندوقك يا مستر هوب لنفحصهُ جميعنا . فنادى المستر هوب خادماً فاحضر لهُ الصندوق من غرفتهِ فوضع فيهِ المفتاح وقال اننا نضيع الوقت سدًى ولكن لا بدَّ من اقناعكم فان هذا المفتاح لا يفارقني لحظة . ولما فتح الصندوق جعل يأخذ منهُ الاوراق ويقول هاكم ما فيهِ فهذه الرسالة من اللورد مارو وهذا تقرير من السير شارلس هاردي وهذه مذكرة من بلغراد وهذه من مدريد وهذه من اللورد . . . . ثم وقف لحظةً وحملق بعينيهِ فشهق وقال يا سيدي الوزير ها هي ها هي . ومدّ الوزير يدهُ فاخذ الرسالة المفقودة بغلافها الازرق فقلّبها في يديهِ ثم قال نعم هي هي بعينها ولم يُفَضّ غلافها فانا اهنئك يا عزيزي هوب . اما المستر هوب فانهُ تعلق بشرلوك وجعل تارةً يقبلهُ وتارةً يصافحهُ وهو يقول اشكرك من صميم قلبي ولكن هذا لا يُعقل ولا يمكن ان يكون فانت ساحر يا شرلوك وانت احضرت الرسالة من حيث كانت واعدتها الى مكانها واكاد لا اصدق ما انظر بعيني . ثم اندفع الى الباب وهو يصيح منادياً زوجتهُ لكي يبشرها بانهُ كان في مصيبة عظيمة وقد فُرجت . فلما خرج من الغرفة نظر الوزير الى شرلوك وقال لهُ لا ريب ان في الامر غير الظاهر الذي رأيناهُ فقل لي كيف ارجعت الرسالة الى مكانها . فتبسم شرلوك وقال اننا نحن ايضاً يا مولاي لنا اسرارٌ لا نستطيع ان نبوح بها . ولما قال هذا اخذ قبعتهُ فحيّا باحترام وخرج فتبعتهُ وما بلغنا البيت حتى وجدنا رسالة شكر قد سبقتنا اليهِ بتوقيع الوزير المذكور والمستر هوب وفيها مااستحقهُ شرلوك . انتهى